التجربة الروائية الرقمية للكاتب المغربي عبد الواحد استيتيو

د / أسماء إبراهيم شنقار

أستاذ النقد المساعد بكلية التربية جامعة دمنهور

الملخص:

يقال: إن التكنولوجيا هي فتنة من فتن العصر، والحياة قائمة على الاختلاف لذا يختلف تعاملنا مع الفتن، فهناك من يترك الفتنة تتحكم به وتوجهه كيفما شاءت فيخسر، وهناك من يحاول السيطرة عليها وقيادتها فيغنم ،ويقلل الضرر الآتي منها قدر المستطاع . ولما كان استقراء الواقع يشير إلى أن المستقبل سيكون في اتجاه الرقمنة ،فقد كان هناك أصحاب رؤى سباقة استفادوا بهذه التغيرات وأوجدوا التلاقي بين المتغير الرئيس الحادث في المجتمع والمؤثر فيه بقوة (التكنولوجيا) وبين الجانب الروحي للحضارة والمعبر عن حياتنا والممثل لها(الأدب)، فنتج (الأدب الرقمي) الذي يجمع بين هذين الجانبين ، حيث استفاد الأدباء من التقنيات المختلفة والمميزات التي تتيحها التكنولوجيا لخلق وإبداع نمط جديد من الأدب أتى ليعيش جنبا إلى جنب مع غيره من الأنماط التقليدية .وفي هذه الورقة البحثية أتحدث عن كاتب من رواد الرقمية وهو الكاتب المغربي عبد الواحد استيتيو صاحب أول رواية فيسبوكية في الوطن العربي وهي رواية(على بعد مليمتر واحد فقط) والتي استخدم فيها الفيسبوك ليكون إطارا لنشر وصناعة الرواية. ولم يكتف الكاتب عند حد هذه الرواية بل سعى إلى التجريب بأشكال أخرى مختلفة، فنجده ينشر رواية تفاعلية من خلال تطبيق اليكتروني ، ومن ثم يكتب رواية فيسبوكية مشتركة بينه وبين كاتبة أخرى ليكون هناك للنص السردي الواحد أكثر من مؤلف.

أحاول في هذه الورقة البحثية الكشف عن مظاهر التجريب في رواياته الرقمية محاولة استكناه خصائص نصوصه السردية وسبر أغوارها ومعرفة مدى اختلافها عن النصوص السردية التقليدية ولنجيب عن تساؤلات تُطرح تلقائيًا في ذهن المتلقي ومنها :هل الاختلاف في الشكل يحتم ويؤدي إلى اختلاف في المضمون ؟ وهل هذه الطرق الجديدة في إبداع الرواية تتميز بالنجاعة وتؤدي إلى

تطور الرواية العربية وتستطيع أن تجذب المتلقي إليها أم تحدث العكس فتبعده عنها وتنفره منها؟

يطرح هذا الموضوع العديد من التساؤلات والإشكاليات المختلفة والتي سأحاول عرضها ومناقشتها في هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية:

الأدب الرقمي _عبد الواحد استيتيو_ التجريب في الرواية.

The Digital Novel Experience of the Moroccan Writer Abdel Wahed Estiou

Abstract:

It is said: Technology is one of the temptations of the age.

life is based on difference, so our dealing with temptation differs. There are those who let sedition control and direct them however it wants, so they lose. While there are those who try to control and lead it, so they gain, and reduce the damage that comes from it as much as possible. since the extrapolation of reality indicates that the future will be in the direction of digitization, there were owners of pioneering visions who benefited from these changes and created a convergence between the main variable occurring in society and affecting it strongly (technology) and the spiritual aspect of civilization that expresses and represents our life(Literature), and produced (Digital Literature), which combines these two aspects, as writers benefited from the various techniques and advantages offered by technology to create a new style of literature that came to live alongside other traditional styles. In this research paper I am talking about a writer from Pioneers of Digital, who is the Moroccan writer Abdel Wahed Estitio, the owner of the first Facebook novel in the Arab world (only one millimeter away) in which he used Facebook to be a framework for publishing and creating the novel. He publishes an interactive novel through an electronic application, and then writes a joint Facebook

novel between him and another writer, so that there is more than one author for one narrative text.

In this paper, I am trying to reveal the manifestations of experimentation in his digital novels, trying to understand the characteristics of his narrative texts, exploring their depths, finding out how different they are from traditional narrative texts, and to answer questions that arise automatically in the mind of the recipient, including: Does the difference in form necessitate and lead to a difference in content? , Are these new ways of creating the novel characterized by efficacy , lead to the development of the Arabic novel and attract the recipient to it, or do the opposite, distancing and alienating him from it?

This topic raises many different questions and problems, which I will try to present and discuss in this research paper.

key words:

Digital Literature - Abdel Wahed Estitio - Experimentation in the Novel.

مقدمة:

يقال: إن التكنولوجيا هي فتنة من فتن العصر، والحياة قائمة على الاختلاف لذا يختلف تعاملنا مع الفتن، فهناك من يترك الفتنة تتحكم به وتوجهه كيفما شاءت فيخسر، وهناك من يحاول السيطرة عليها وقيادتها فيغنم، ويقلل الضرر الآتي منها قدر المستطاع. ولما كان استقراء الواقع يشير إلى أن المستقبل سيكون في اتجاه الرقمنة ،فقد كان هناك أصحاب رؤى سباقة استفادوا بهذه التغيرات وأوجدوا التلاقي بين المتغير الرئيس الحادث في المجتمع والمؤثر فيه بقوة (التكنولوجيا) وبين الجانب الروحي للحضارة والمعبر عن حياتنا والممثل لها (الأدب)، فنتج (الأدب الرقمي) الذي يجمع بين هذين الجانبين، حيث استفاد الأدباء من التقنيات المختلفة والمميزات التي تتيحها التكنولوجيا لخلق وإبداع نمط جديد من الأدب أتى ليعيش جنبا إلى جنب مع غيره من الأنماط التقليدية. وفي هذه الورقة البحثية أتحدث عن كاتب من رواد الرقمية وهو الكاتب المغربي عبد الواحد استيتيو صاحب أول رواية فيسبوكية في الوطن العربي وهي رواية(على بعد مليمتر واحد فقط) والتي استخدم فيها الفيسبوك ليكون إطارا لنشر وصناعة الرواية .ولم يكتف الكاتب عند حد هذه الرواية بل سعى إلى التجريب بأشكال أخرى مختلفة، فنجده ينشر رواية تفاعلية من خلال تطبيق اليكتروني، ومن ثم يكتب رواية فيسبوكية مشتركة بينه وبين كاتبة أخرى ليكون هناك للنص السردي الواحد أكثر من مؤلف.

أحاول في هذه الورقة البحثية الكشف عن مظاهر التجريب في رواياته الرقمية محاولة استكناه خصائص نصوصه السردية وسبر أغوارها ومعرفة مدى اختلافها عن النصوص السردية التقليدية ولنجيب عن تساؤلات تُطرح تلقائيًا في ذهن المتلقي ومنها: هل الاختلاف في الشكل يحتم ويؤدي إلى اختلاف في المضمون؟ وهل هذه الطرق الجديدة في إبداع الرواية تتميز بالنجاعة وتؤدي إلى

تطور الرواية العربية، وتستطيع أن تجذب المتلقي إليها، أم تُحدث العكس فتبعده عنها وتنفره منها؟

وهكذا يطرح هذا الموضوع العديد من التساؤلات والإشكاليات المختلفة والتي سأحاول عرضها ومناقشتها في هذه الورقة البحثية.

(١)

- **مصطلح الأدب الرقمي:**

تعاني الدراسات الأدبية والنقدية غالباً من فوضي المصطلحات وتعددها؛ فينتج الأفراد والمدارس المختلفة للمفهوم الواحد العديد من المصطلحات التي تُعبِّر عنها، وقد يمزجوا هذا الاختلاف في المصطلح باختلاف طفيف في المفهوم. وينتج هذا الاختلاف من اختلاف المدرسة العلمية التي ينتمي إليها صانع المصطلح أو مبتكره أو مقتبسه، واختلاف بلد المنشأ والثقافة بين أنجلوسكسونية أو فرانكفونية أو عربية أو غيرها من الثقافات؛ لنجد في النهاية فوضى في المصطلحات وتخبطا بين المتلقين لهذه المصطلحات، ومطبقيها، لذا نجد في الكثير من الدراسات النقدية والأدبية نمطاً سائداً وهو تخصيص فصل البداية (مبدأ الدراسة) للحديث عن إشكالية المصطلح والتفرقة بين المصطلحات، ثم تحديد المصطلح المُرجح بالنسبة للكاتب أو صاحب الدراسة. وفي الحقيقة أن هذا الأمر رغم كونه صحياً لأن النقد هو وجهات النظر المدعمة بالأدلة والبراهين، إلا أن الزيادة فيه أدي إلي إحداث فوضي كبيرة، وجعلنا ندور في فلك المصطلحات فقط فركز غالبية الدارسين عليها وهو الأمر الثانوي مقارنة بما هو أهم؛ من دراسة المفهوم نفسه وتجلياته في النصوص الأدبية المختلفة(١).

ومصطلح الأدب الرقمي كغيره من المصطلحات شابه التعددية، التي قد تعبر عن نفس المفهوم، أو قد يكون هناك اختلاف طفيف بين كل مصطلح ويتحدث الدكتور "جميل حمداوي" عن فوضي المصطلحات التي التصقت بالأدب الذي ينتج عبر الحاسوب أو الكمبيوتر أو الهواتف الذكية ويذكر حوالي خمسة عشر مصطلحاً منها: "الأدب الرقمي، والأدب التفاعلي، والنص السيبرنطيقي

---

[١١]– انظر: د/ أسماء شنقار: الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي: مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية: العدد الخامس(٢٠١٧): ص٣٨٤.

Cyber text، وأدب الصورة أو الأدب الديجتالي، والأدب الإلكتروني، والأدب الآلي، والكتابة الفيسبوكية، والأدب الحاسوبي، والكتابة الانترنتيه، وأدب الشاشة، والأدب الروبوتي، والأدب اللوغاريتمي، والأدب الويبي ... إلي آخرها من المصطلحات.(١)

ويلاحظ من خلال هذه التعددية فوضي في الاصطلاح والتسمية؛ "فكل باحث أو دارس أو ناقد يفضل المصطلح الذي يتناسب مع رؤيته ومعرفته، أو ينتقيه حسب البلد الذي يوجد فيه".(٢) فعلى سبيل المثال نجد أن مصطلحي الأدب الرقمي والأدب الإليكتروني قد انتشرا بسرعة في الساحة الثقافية والإعلامية الفرنكفونية، بينما مصطلح النص المترابط (hyper text) أكثر انتشاراً في الثقافة الأنجلو سكسونية.

ويعرّف حمداوي الأدب التفاعلي بأنه "ذلك الأدب الذي يهتم بالعلاقة التفاعلية التي تنشأ بين القارئ والنص على مستوى التصفح والتلقي والتقبل وتخضع هذه العلاقة لمجموعة من العناصر التفاعلية الأساسية هي: النص، والصوت والصورة والحركة والمتلقي والحاسوب، مع التشديد على العلاقة التفاعلية الداخلية (العلاقة بين الروابط النصية)، والعلاقة التفاعلية الخارجية (الجمع بين المبدع والمتلقي) أي أن الأدب التفاعلي هو الذي يجمع بين نشاط الكاتب أو السارد ونشاط المتلقي معا".(٣)

---

(١) انظر: د/ جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق: الطبعة الأولي٢٠١٦م: شبكة الألوكة الإلكترونية: ص٩١.

وانظر أيضا: صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة: إشراف: د.علي عالية: رسالة دكتوراه (٢٠١٥): جامعة محمد خيضر بسكرة.

(٢) نفسه: ص١٠.

(٣) د/ دجميل حمداوي: ص١٤.

وإذا كانت هذه المصطلحات متعددة ومختلفة في الثقافة الغربية، فنفس الأمر وصل إلينا في الثقافة العربية، وذلك لأن هذا النوع من الأدب غير قار في ثقافتنا، ومازال يخطو خطواته الأولى في الوطن العربي على الرغم من وجوده في الغرب منذ فترة طويلة، إضافة إلي الحذر الشديد في تقبل هذا النوع من الأدب. تقول د/ فاطمة البريكي في هذا الصدد: "مصطلح الأدب التكنولوجي ما يزال مجهولاً عند العرب إلي حد كبير رغم وجود عدة محاولات تعريفية جادة من قبل فئات مختلفة من المهتمين وأن الحضور النقدي العربي في هذا الاتجاه لم يتجاوز حدود التعريف بملامح هذا العالم، ولم يتغلغل بعد إلي آفاق الدراسات النقدية التطبيقية على نصوص إبداعية بنيت وفق مقومات هذا النمط الجديد من الكتابة الأدبية...."(١)

ولكن مدار الاختلاف في المصطلح يدور لدينا في الغالب بين مجموعة من المصطلحات منها (الأدب الرقمي، الأدب الالكتروني، الأدب التفاعلي)، وهي كلها متقاربة أو قد تكون أحدها صفة للأخرى؛ يقول الدكتور "إبراهيم ملحم" إن الأدب الرقمي والأدب الإلكتروني واحد، وإن النص التشعبي لا يلغي كونه رقمياً أو إلكترونياً، وإن الأدب التفاعلي يكتسب صفة التفاعل حقاً حينما يشارك القارئ، ليس في تذوقه فحسب، بل في إتاحة المجال لإنتاج شيء منه أو نقده"(٢)

ولكي نخرج من هذه المصطلحات المتشابكة يمكننا أن نقول إن المفهوم المراد تحديد مصطلح له هو ذلك الأدب الذي يستخدم الحاسوب وتقنياته المختلفة، فيمتزج في النهاية الكلم بوسائط أخرى مرئية أو مسموعة.

---

(١) د/ فاطمة البريكي: فضاءات الإبداع الأدبي في عصر التكنولوجي الرقمية ،العالم العربي للنشر والتوزيع، ط١ : دبي٢٠٠٨،ص٣٥.

(٢) د/ إبراهيم ملحم: "الأدب والتقنية" عالم الكتب الحديث (الأردن) ٢٠١٦م : ط١: ص١٥.

وهـذا الأدب أسـماه بعـض النقـاد (رقمـي، إلكترونـي، تكنولـوجي، أدب الشاشة، .... إلي آخره).

ولكن قد تُلحق به صفات أخرى أساسية منها (التفاعلية)، والتي يشترط فيها تفاعل القرّاء مع النص الأدبي أو مع الكاتب نفسه، وتختلف درجة التفاعل المسموح بها للقارئ؛ فقد يكون منتجاً مشاركا للنص، أو معلّقاً وناقداً، وقد يلحق به صفة "الترابطية" أو "التشعبية" أو "النص المترابط"، وتأتي هذه الصفة من استخدام تقنية التشعيب أو (hyper link)، وهذه الصفة أو تلك لا تنفي عنه النوع الأول (رقمي)، أو إلكتروني؛ فهي صفات مندرجة تحت المسمى الأساسي. هي فرع جزء من أصل.

إذن يمكننا أن نرجح المصطلح الذي يُعبِّر عن الصفة الكبرى في هذا الأدب، وهو الوسيط الذي يتم نقل الأدب من خلاله والمساهم في صناعته من خلال تقنياته وهو (الحاسوب)؛ لذا نتفق مع الدكتور جميل حمداوي في تفضيله (الأدب الرقمي) كمصطلح عن غيره من المصطلحات، وأساس تفضيله واختياره "يتمثل في كونه أكثر ارتباطاً بالوسيط الإعلامي، ويدل بشكل جلي وواضح علي المكونات الأساسية التي تتحكم في المنتج الأدبي والفني والجمالي، ويحيل هذا الأدب أيضاً علي ما هو رياضي ولوغاريتمي ومنطقي وحسابي، ويقوم هذا الأدب كذالك علي تحريك المعطي النصي وفق الصوت والصورة والفيديو والإيقاع الزمني انطلاقاً من أرقام ثنائية مزدوجة."(١)

وبهذا نكون أمام نوعين من الكتابة الأدبية: **أولهما** الكتابة التقليدية أو الكلاسيكية المعهودة التي تعتمد على الكلمة، **وثانيهما** الكتابة الأدبية الرقمية التي تعتمد على الكلمة إضافة إلى استخدام السمات والمميزات التي تتيحها الثورة

(١) د/ جميل حمداوي :ص١٤.

الرقمية ويتيحها الحاسوب من وسائط متعددة مختلفة. وبالتالي يتمازج الكلم مع التقنية فيخرجا لنا إبداعا مختلفا يحمل فيه صاحبه اسم المبدع بدلا من الكاتب لأنه يبدع نمطا أدبيا أكثر شمولا من الكتابة الأدبية التقليدية.

(٢)

لقد أضحت مواقع التواصل الاجتماعي تشكل جزءًا أساسيًا من حياتنا في هذا العصر، بل ومؤثرًا فاعلًا فيها، لذا من العبث أن نتجاهل استخدامها، نتجاهل ما ينتج من خلالها. ولقد لجأ الكتاب إلي هذه المواقع لنشر إبداعاتهم مستخدمين تقنياتها المتعددة لأسباب مختلفة منها صعوبة النشر، والرغبة في نشر أفكارهم وإبداعاتهم وإحداث التواصل بينهم وبين القرَّاء بعيداً عن أروقة دور النشر، بعيداً عن التكاليف المادية الباهظة للنشر، وعن حظر مؤلفاتهم لمخالفة آراء الدول أو الرقابة أو غيرهم، وقد يكون استخدامهم إياها رغبة في التجريب أو التغيير ومواكبة العصر. ذلك العصر الذي شهد بفضل توافر وسائل الاتصال طفرة نوعية في عصر سمي بعصر السماوات المفتوحة وبروز النزعة الكوكبية التي أضحى فيها العالم أشبه بقرية اليكترونية صغيرة. وإذا كان "محمد سناجلة هو" رائد الأدب الرقمي في الوطن العربي فإن "عبد الواحد استيتيو" الكاتب المغربي يعد رائدا للرواية الفيسبوكية في الوطن العربي، فهو أول من أنشأ رواية على الفيسبوك وهي "علي بعد مليمتر واحدا"(١). وقد سبق وعرَّفنا الرواية الفيسبوكية في بحث آخر بأنها "نمط من أنماط الأدب الرقمي، تستخدم موقع (الفيسبوك) ليكون إطارا لها، ولنشرها وصناعتها؛ وتأتي كمقابل للأدب المنشور ورقياً؛ إذن فالاختلاف يكمن في الشكل وفي التقنيات المختلفة المستخدمة، فبينما كانت هناك الكلمة أضحت هنا الكلمة بجوار الصورة بجوار الصوت، وبينما كان هناك الكاتب فقط أضحى

---

[١]) درسنا هذه الرواية في بحث منفصل بعنوان(الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي) مجلة سياقات:العدد الخامس :إبريل ٢٠١٧م ، رابط الرواية على بعد ملمتر واحد فقط – رواية | Facebook

هنا الكاتب بجوار القارئ. وبينما كان هناك طريق ذو اتجاه واحد أضحى هنا طريق ذو اتجاهين".(١)

[١] -أسماء شنقار :الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي:صـ٣٨٦

(٣)

****التجريب على مستوى الشكل:**

جرّب عبد الواحد استيتو نشر وصناعة رواياته بأكثر من طريقة ، واختار وسائط متنوعة لإبداع هذه الروايات منها :

١- استخدم الفيسبوك ليكون وسيلة نشر وصناعة رواياته فكانت أول رواية – كما ذكرنا– هي رواية على بعد مليمتر واحد فقط ، وتلاها العديد من الروايات الفيسبوكية مثل المتشرد([١]) والديبة([٢]) وقد كان فيها الكاتب الأساسي ،وجرّب في روايته (في حضرتهم)([٣]) الكتابة المشتركة مع كاتبة أخرى حيث يكتب هو فصلا ثم تكتب هي فصلًا آخر، وهناك بعض الفصول التي يكتبانها معا .

٢- ومن محاولاته التجريبية الرائدة أيضًا إنشاء رواية على شكل تطبيق اليكتروني يمكن تحميله من متجر التطبيقات (GOOGLE PLAY)،ويبدع من خلاله رواياته ، ويتيح للقارئ التفاعل معه ومع فصول الرواية والتعليق عليها وأسماها (طينجو).

** المرحلة التالية لاختيار الوسيط الأساسي الذي يبدع الكاتب من خلاله الرواية (فيسبوك–تطبيق– موقع ويب – أي وسيلة أخرى)، هي الاستعانة بالمقومات والسمات التي تتيحها له هذه الوسائط، من صور وصوت وفيديوهات ،وذلك يؤدي إلى تعددية الخطاب حيث يكون هناك خطاب الصورة وخطاب الصوت، إضافة إلى خطاب الكلمة نفسها ،ومبدع هذه الخطابات ومؤلفها ليس شخصا واحدا إنما

---

[١] –المتشردFacebook |

[٢] –رواية الديبةFacebook |

[٣] –فـــي حضرتهمFacebook |

أشخاص متعددين، لذا فالأدب الرقمي يوصف بـ (تعددية المؤلف، تعددية الخطاب)، وهذه أهم سمة للأدب الرقمي، والتي تفرقه عن الورقي.

وقد وظف عبد الواحد استيتيو هذا الأمر في أعماله الرقمية وإن اختلفت النسبة بين رواياته –كما سنرى–

** تمثل الصورة خطاباً موازياً لخطاب الكلمة ، وفي حالة الراوية الفيسبوكية تعطيها أبعادًا مختلفة وتتكامل معها ، فالصورة لها طبيعة رمزية واختزالية معًا ؛لذا وصفت الصورة بواقعيتها فهي قادرة علي التوصيل الناجح بتأثير أكبر من تأثير الكلمة، لتصبح الصورة خطاباً واتصالاً معاً.(١)

وقد استعمل عبد الواحد استيتو هذا الخطاب الموازي في رواياته ،حيث تزداد أهمية الصورة هنا وذلك عوضاً عن الاستطراد في مشاهد الوصف خاصة وصف الأماكن .

لذا أدرج العديد من الصور الواقعية لأماكن مختلفة. فتنقل الكاتب بذلك بين الخيالي (في أحداث الرواية) والواقعي (أماكن حقيقية ونقلها من خلال الصورة كما هي في الواقع).

كما لعبت هذه الصور دورًا شديد الأهمية وهو ربط القراء بهذه الأماكن التي ذكرها الكاتب وأدرج لها صوراً .

وبناء على ذلك فإن الصورة في الرواية (الفيسبوكية) تعد واحدة من البنى الرئيسة في العمل التفاعلي.

(١) السيد نجم : النشر الالكتروني صـ٤٩وانظر أيضا :فرانسيس دواير وديفيد مايك:الثقافة البصرية والتعلم البصري:ت:د/نبيل جاد عزمي: الطبعة الثانية:٢٠١٥ :مكتبة بيروت/القاهرة

*** وإذا عرضنا لمقارنة بين روايتين من رواياته من حيث استخدام الصور فسنجد أولًا أن الصور التي أدرجت في رواية(على بعد مليمتر واحد فقط) الفيسبوكية كانت أكثر من حيث العدد وأكثر تنوعًا. وقد صنفت إلى ثلاث أنماط:

١- صور للأماكن التي ذكرت في الرواية: حيث أدرج الكاتب صورا لغالبية الأماكن التي حدثت فيها الرواية ،وذلك يوهم القارئ بواقعية الرواية. ومن الجدير بالذكر أنه يضمن هذه الصور في أحايين مختلفة نبذة عن تاريخ المكان.

٢- صور خاصة بمشاهد أو بلقطة من مشهد داخل الرواية: وذلك مثل صورة للمركب المزدحم بالركاب الشبيه بالمركب الذي سافر عليه بطل الرواية (خالد).وكذلك صورة رجل يمسك بيده موبايل وذلك إشارة إلى موبايل(هدى) الذي مثل الخيط الأول لحل المشكلة .

٣- صور موازية لأحداث الرواية : ويتضمن هذا النمط الصور التي تتعلق بشكل غير مباشر بالرواية نفسها، فتتضمن مثلا صورا للكاتب أثناء فعل الكتابة ،"كصورته وهو يجلس أمام الشاشة يكتب فصلا من الرواية". وتتضمن كذلك صورا إعلانية عن الرواية .إضافة إلى مرحلة ما بعد الرواية نفسها والتي تضمنت نشر الرواية ورقيا ،فيدرج صورا للرواية وهي على أرفف المكتبات وكذلك صورا للقاءاته سواء بالقراء أو داخل المتحف الذي يوجد به لوحة زهرليزا.[١]

في الرواية الفيسبوكية الأولى لعبد الواحد استيتو (على بعد مليمتر واحد فقط) استخدم الكاتب أنماطًا متعددة من الوسائط المتعددة ، فاستخدم الصور والفيديوهات، وأغنيات مختلفة، منها ما يحكي عن الرواية ككل كواجهة إعلامية

[١] – أسماء شنقار: الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي: ص٣٩٦ ، وانظر أيضًا ملحق الصور : ص٤٠٤

للرواية (أغنية طنجة حكات) ، ولكن في الروايات التالية ومنها رواية (الديبة)[١]، وكذلك (في حضرتهم) لاحظنا قلة استخدامه للوسائط المتعددة حيث اكتفى بالصور فقط والتي قلت هي الأخرى عن التجربة الأولى ، ولا نعلم يقينًا ما السبب وراء ذلك هل قلت حماسة الكاتب ، أم قلّ إيمانه بجدوى هذه الوسائط وأثرها في الرواية واعتمد أكثر على الكلمة ، وتفاعل القرّاء؟؟

** ويظهر ذلك على سبيل المثال في رواية الديبة ،فكانت الصور التي أدرجها الكاتب تتعلق بأحداث الرواية فقط ،وبشكل أقل ،وذلك مثل صور تتعلق بـ:

أ\ أنقاض ساحة الثيران حيث عثرت ليلى (بطلة الرواية)على اللوحة.

(١) بدأ الكاتب في نشر رواية (الديبة) على مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ (٨ فبراير ٢٠٢٠م) وأنهاها(١٤ مارس ٢٠٢٠م) .

ب_ لوحة (عويشة الطنجاوية الموريسكية) للفنان بورتايل هورتان

****من السمات الأخرى الأساسية التي تظهر في الرواية الفيسبوكية والرقمية إضافة إلى النقطة السابقة الآتي:**

١- الإيجاز:

تتصف الروايات الفيسبوكية بالقصر والاقتصاد في حجمها ، وربما كان ذلك لطبيعة الوسيط الذي يستخدمه الكاتب (الفيسبوك) وكذلك لطبيعة الجمهور الذي يتوجه إليه . فالفيسبوك وجمهوره يتصفان بالسرعة والتنوع والسطحية لذلك لابد أن يراعي الخطاب الموجه إليه هذه الصفات –أيا كان هذا الخطاب– فيتصف بالإيجاز مع التكثيف في آن واحد، وهذا الأمر ربما يحول شكل الرواية التي نعهدها إلى شكل آخر .

٢- قلة الوصف:

ترتبط هذه النقطة بسابقتها ،وتستتبعها حيث إذا أراد الكاتب تقليص حجم الرواية فأول شيء سيفكر فيه هو الوصف سواء وصف الأماكن والتي يستعيض عنها بصورة مثلاً،أو وصف الأشخاص ،أو حتى وصف المشاعر ،والتي ربما استعاض عنها بأغنية.

٣– غلبة التشويق والإثارة:

يتوجه كاتب الرواية الفيسبوكية لقارئ ملول يمل من المحتويات المعروضة أمامه ويحتار في اختياره لكثرتها وتنوعها ،حيث يسيطر على الوسيط الفيسبوكي التنوع والتشتت لذا فكان لزامًا على الكاتب أن يحرص على جذب انتباه القارئ الفيسبوكي بطرق شتى .من هذه الطرق ما يتعلق بالمضمون السردي نفسه ، ويكون ذلك من خلال إضفاء التشويق والإثارة على الأحداث نفسها ،وهو ما حرص عليه عبد الواحد استيتيو في رواياته كلها ،فتقترب من روايات المغامرات والروايات البوليسية ، حيث يضفي عليها التشويق والإثارة في نواحي مختلفة منها.

٤– تفاعل القرّاء:

نشأ الأدب التفاعلي الرقمي في الأساس من أجل العلاقة بين النص والقارئ؛ فالقارئ التفاعلي " أهم عنصر في الأدب الرقمي لأن حضوره التفاعلي ضرورة لإغناء النص وإثرائه بملاحظاته وتعليقاته وانتقاداته وبصماته . ولا يمكن تصور أدب رقمي دون قارئ متفاعل . ومن هنا يعد القارئ التفاعلي مكوناً بارزاً أو عنصراً أساسيا أو بنية من البني المكونة للنص الرقمي أو النص التفاعلي(١).

وتزداد هذه الأهمية مع الرواية (الفيسبوكية) علي وجه التحديد ، وذلك لأن (الفيسبوك/ وسيط النشر) هدفه الأساسي التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وما لجأ إليه الأفراد كتاب أو قرّاء إلا من أجل سد حاجات معينة منها حاجات معرفية أو وجدانية أو حاجات التكامل النفسي أو التكامل الاجتماعي أو غيرها(٢) .

لذا العلاقة هنا ثلاثية تدور في دائرة بين المؤلف والنص والقارئ تبدأ من المنشئ للصفحة (الفيسبوكية) وهو مؤلف النص الأدبي الذي يدير الحوار دائماً

---

(١) د. جميل حمدواي بـ الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق : صـ٢٨

(٢) انظر: حنان شعشوع بـ أثر استخدام شبكات التواصل الإكترونية على العلاقات الاجتماعية:ص٢٦

مع القارئ والذي بدوره يتجاوب بطرق مختلفة مع النص(سواء أكان متنا أم نصا موازياً مشاهدا أو مسموعا) ، ومع المؤلف، وبذلك تكتمل عملية خلق الفن نفسه وخلق النص من خلال إنشاءه ثم إدراكه .

حين أنشأ عبد الواحد استيتو هذه الصفحة متخذها وسيلة لتجربته الروائية غير المسبوقة عربيا كان يعي أنه يتوجه لنوع معين من القراء له سمات معينة فهو من وجهة نظره " قارئ ملول" لذا فقد راعى هذه السمة وهو ينشئ نصه فآثر ألا يستطرد في الحكي ، وكذلك أن يحافظ علي أعلى نسبة من التشويق والإثارة دون أن يفقد الرواية هدفها الأساسي ،وكل ذلك لأنه يريد زيادة عدد القراء وزيادة التفاعل مع الرواية وهذه النقطة هي أول مظاهر الاهتمام بالقرّاء. ويأتي بعد ذلك عدد من الاستراتيجيات التي استخدمها الكاتب لخلق التفاعل بين النص والقارئ؛ وكلها استراتيجيات نشأت من رحم البيئة التي ولد فيها النص ، وهي (الفيسبوك) . فمن المعروف أن نظام الصفحة (الفيسبوكية) هو كتابة منشور وهو في حالتنا هذه فصل من الرواية، ويعقب هذا المنشور التعليقات و الإعجابات والآراء . والكاتب كان حريصًا علي أن يرد على كثير من تعليقات القراء ويراعي ملاحظاتهم في الفصول التالية ، ويأخذ مقترحاتهم مأخذ الجد ؛ ومثال علي ذلك اهتمامه باقتراح أحد القراء بأن تسمي الرواية الأولى (على بعد مليمتر واحد فقط) باسم " زهر ليزا " ؛ وجعلها اسماً ثانياً مع الاسم الأول الذي عرفت به ؛ ووضعه علي غلاف الرواية.

والاستراتيجية الأهم التي استخدمها الكاتب هي استطلاعات الرأي ؛ حيث استخدم هذه التقنية في الكثير من المواضع المفصلية في الرواية ، فيسأل القراء عن توقعاتهم بخصوص الأحداث القادمة ، وكيف يريدون سير الأحداث بعد ذلك. وبالفعل يأخذ بنتيجة استطلاع الرأي ، وتسير أحداث الرواية وفقاً لهذا الأمر .

وبهذا يكون القارئ مشاركاً في صنع الراوية ليس من خلال الإدراك فحسب ، ولكن من خلال إنشاء أحداث جديدة للرواية والمساهمة في سير أحداثها .

ومن هذه الاستطلاعات في رواية الديبة والتي يساهم بها القارئ في صناعة الرواية مثلا :-

(٤)

الجانب الموضوعي:

اتخذ الكاتب الواقعية نمطًا مهيمنًا على رواياته، حيث اهتم بمناقشة الموضوعات والقضايا الواقعية التي تمثل همًا يرزخ فوق أكتاف الشعب المغربي تحديدًا ،صحيح أن أغلب هذه القضايا تشترك فيها كثير من الشعوب العربية ،ولكن يبقى لكل شعب خصوصيته والمساحة التي تحتلها قضية دون أخرى ، ومن هذه الموضوعات الهجرة والبطالة والسفر غير الشرعي وعمل المرأة. وكثيرًا ما تتشابك هذه الموضوعات وغيرها مع بعضها البعض.

ومن الموضوعات التي ركز عليها الكاتب كثيرًا(البطالة) وما يحيط بها ويتشابك معها من قضايا وموضوعات ترتبط بها ارتباطًا حتميًا ،فالبطالة يتبعها لا محالة رغبة في السفر والهجرة سواء أكانت هذه الهجرة شرعية أو غير شرعية ، كما يرتبط بها الفقر والجريمة وغيرها من الموضوعات، ومن هنا تنشأ قصص كثيرة يرويها لنا الكاتب .

كان أول لقاء لنا مع الكاتب في روايته(على بعد مليمتر واحد فقط) والتي ناقش فيها كثير من القضايا فبدأها بالبطالة ، فبطل الرواية(خالد) الذي تخرج من الجامعة ولم يجد عملًا قضى وقته على الفيسبوك لـ(يفسبك) ويكتسب الأصدقاء في العالم الافتراضي بينما هو وحيد في العالم الواقعي ولا يجد عملا. بدأت الرواية من هذه القضية ولكنها لم تكن القضية الرئيسة في الرواية ، بل كان هناك العديد من الموضوعات الأخرى مثل الزيف والتظاهر الذي يتسم به العالم الافتراضي وكذلك الواقعي، وأيضا هناك الهجرة غير الشرعية وهناك طنجة والتي لم تمثل مكانا يدور فيه الأحداث فحسب بل مثلت أيضًا شخصية رئيسة داخل العمل الأدبي .

أما في رواية (الديبة) الفيسبوكية فكان هذا هو الموضوع الرئيس في الرواية ، وقد عرضه الكاتب وناقشه من خلال قضية واقعية ومؤلمة في المغرب وهي التي تعرف بـ(النساء البغلات) أو (المهربات\الحمالات) وهن مهربات للبضائع من سبتة إلى طنجة ، حيث يحملن بضائع ثقيلة على ظهورهن تقدر من مائة إلى مائة وأربعين كيلو ، لذا فقد عرفن باسم(النساء البغلات)، وهن يتعرضن لظروف مأساوية جدًا وشاقة من سباب وتحرش جنسي وركل ومبيت في العراء يؤدي للموت ، وهو ما حدث معهن في عام ٢٠٠٨م مما أدى إلى وفاة اثنتين منهن.

وهن في كل ذلك مدفوعات لهذا العمل بسبب ظروف حياتهن الاجتماعية الصعبة فكثير منهن يمثلن العائل الوحيد لأسرهن .

وفي رواية الديبة نتعرف على هذا العالم ونخوض غماره من خلال(الحاجة فاطمة) والدة بطلة الرواية وشخصيتها الرئيسة(ليلي) حيث أعالت الحاجة فاطمة ليلي وأخيها من خلال عملها حمالة .ويظهر لنا الكاتب المعاناة الخارجية أو الشكلية التي تعانيها الحاجة مثل التعب الجسدي إثر العمل لأيام متوالية ، وأحيانًا التعب النفسي الذي يظهر عندما تموت صديقة الحاجة(حبيبة) إثر تدافع حدث بالمعبر ، يظهر ذلك من خلال المقطع السردي التالي:" ألتفت لأجد والدتي وهي تتكأ على جدار الصالة الصغيرة بتعب باد ..أنهض مسرعة لأرى ما بال الحاجة بينما تسبقني بشرى في السؤال:

- **خالتي ..ماذا هناك ؟**
- **ماتت حبيبة ، قتلوها ..كانت أعز صديقة وأخت.**
- **من حبيبة يا أمي ؟ من قتلها؟**

تساعدها على الجلوس كي تستطيع التماسك والإجابة بدموع منهمرة لا تتوقف، تجيبنا.

- حبيبة كانت تشتغل معي بمعبر سبتة ،اتصلت بي الآن إحدى العاملات هناك وأخبرتني أنها توفيت إثر تدافع حدث بالمعبر. اختفت المسكينة تحت وطأة عشرات الأجساد المثقلة بالسلع!

- لا يمكن قتل الألم إلا بألم أكبر.

يأتي الموت \ الألم الأكبر فينهي كل شيء.

ينتهي عذاب الميت وتبدأ لوعة محبيه." ([1])

لن نتعرف في الرواية على العالم الداخلي لحياة وعمل مهربات البضائع إلا بعد موت(الحاجة فاطمة) حيث تقرر ابنتها أن تعمل مكانها لتعيل نفسها وأخيها وخاصة أنها فشلت في الحصول على عمل بشهادتها .

تبدأ أولى مظاهر هذا العذاب من الانتظار الطويل والمبيت في العراء ،تصف ليلى هذا الأمر في أول ليلة عمل لها قائلة:" كلما أوغل الليل أكثر ،كلما ازدادت قساوة الطقس ،السماء صافية مما يجعل قطرات الندى ورذاذ أمواج البحر خلفنا ، تضيف للجو برودة لاذعة تنتزع مني بين الفينة والأخرى قشعريرة قوية . أتأمل في النساء المنتظرات بكثير من التعود وقليل من التبرم إحداهن نامت فوق كومة ملابس وقد سال لعابها على خدها غير عابئة ببرد ولا زمهرير .أخرى تدلّى رأسها على صدرها وتعالى شخيرها الذي لا يوقفه سوى انتباهة مفاجئة منها قبل أن تعود لوضعها السابق ."(٢)

وكذلك هناك التحرش الجسدي الذي تتعرض له هؤلاء النسوة ، مما يدل على ذلك :

تقول ليلى" حرارة إضافية أشعر بها من جسد ملتصق بي من الخلف بشكل مبالغ

---

[1] – الديبة: الفصل السابع

[2] –نفسه: صـ٢٥

فيه .أستدير فإذا بشاب يتظاهر بالنظر إلى اللامكان .أنظر إليه بحدة وتحذير ثم أطلب من مينة أن تتبادل المكان معي .تستجيب وهي تنظر لي وللشاب في فهم.

–شرااخ

دون سابق إنذار تفعلها حبابي مينة غير منتظرة لأي تفسير .صفعة قوية على وجه الشاب تردد صداها في المكان.

–أيها الوقح..ألا تستحي؟

–خلال ثواني كان الشاب قد أصبح عجينة حقيقية بين أيدي النساء الحاضرات اللاتي تكالبن عليه في اتفاق غير مكتوب على ما يبدو. تتركهن مينة يؤدبنه وتعود لي مخاطبة .

–في المرة القادمة لا تترددي وافضحي من هم مثله مباشرة . نحن هنا على قلب امرأة واحدة فيما يتعلق بالتحرش."[١]

**وتظهر لنا قضية (البطالة) الموجودة في المغرب متشابكة مع الهجرة إلى خارج الوطن للعمل من خلال (عبد الجبار) و(عبدو) وغيرهم من شخصيات الرواية .يقول عبدو:" عبد الجبار يلعن كل مقرر مادة الحقوق التي أخذ إجازة فيها ..يلعنها وهو يغسل الصحون في المطعم الذي يشتغل به وأنا بقربه أتلذذ برؤيته يعارك الزمن والأواني معًا.

من مُجاز في الحقوق ينتظر أن يكون مُحاميًا على الأقل إلى غاسل صحون لا يشق له غبار. هكذا كتب علينا أن نكون مجرد هاربين يتخيلون أنهم في مواجهة ما... وبين الهروب والمواجهة نضع آلاف الأعذار وآلاف الأسباب

[١] –نفسه:صـ ٢٤(الفصل الثاني عشر)

ونجلس أمام التلفاز شاردين متسائلين :متى تجتمع الكرامة والوطن معًا في مكان واحد؟"[١]

كما تظهر حالات الخداع والنصب والتجارة بالقاصرات من خلال بعض الشخصيات الثانوية في الرواية ، ومن خلال التحقيق الصحفي الذي قام به (عبدو) والذي تسبب في خطفه ثم سجنه ثم قتله.

** أما في رواية(طينجو) والتي عرضها على هيئة تطبيق فقد جعل الموضوع الأساسي يدور حول فتاة مقعدة من ذوات الاحتياجات الخاصة والتي تتعرض للاغتصاب على يد مجموعة من الشباب ،ويروي معاناتها جرَّاء هذا الأمر وعزيمتها وإصرارها لكي تتغلب على ما ابتليت به ولكي تأخذ حقها ولو بالقوة، وخلال ذلك يعرض موضوعات مختلفة ونماذج بشرية مختلفة منها المخادع ومنها الصديق الوفي ومنها المجرم .

وهو في كل ذلك لا ينفك يركز على جانب التشويق والإثارة في أحداث روايته حتى لا يفقد القارئ ويدفعه لمتابعة أحداث الرواية .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الكاتب ينهي حياة بعض شخصيات روايته والتي قد يتمنى القرّاء وجودهم . وذلك ليؤكد على الواقعية في الرواية كما هي الحياة، وهذا يؤكد اتخاذه الواقعية كنمط مهيمن ومسيطر على رواياته من حيث الموضوع ومن حيث طريقة عرضه لهذا الموضوع، فقد يختار الكاتب مثلا موضوعا يعرض فيه البطالة والقهر والظلم ،ولكن ينهيه في كل مرة نهاية سعيدة مشرقة تماما ،وهو مالا نجده في كثير من الأحيان في الروايات محل الدراسة ،

[١] –نفسه: صـ٣٠(الفصل الرابع عشر)

فالكاتب يعرض الواقع بأبعاده المختلفة والمتضادة الحزينة والسعيدة ،فيعرض للموت كما يعرض للحياة.

خاتمة:

وفي النهاية يمكننا التوصل إلى مجموعة من النتائج التي تتعلق بتجربة عبد الواحد استيتو الرقمية :

١-استخدم الكاتب أكثر من طريقة رائدة لإبداع رواياته فمنها استخدام صفحات الفيسبوك ليكون وسيلة إبداع الرواية ، ومنها استخدام تطبيق اليكتروني كما في رواية طينجو .

٢-وفي كل ذلك استخدم الوسائط المتعددة في صناعة الرواية لتتضافر مع الكلم ، وإن اختلفت نسبة اعتماده عليها وبالتالي أهميتها حيث نجده اعتمد على الوسائط المتعددة ونوّع فيها بشكل كبير، وذلك في روايته الفيسبوكية الأولى على بعد مليمتر واحد فقط بحيث يمكننا اعتبار أن هذه الوسائط المتعددة من صور وفيديوهات مثلت خطابًا موازيًا له دلالته المتعددة ، وهذا الأمر قلّ بشكل كبير في الروايات التالية فكان الاعتماد أكثر على خطاب الكلم أكثر من الخطابات الأخرى حتى لكأنك لا تشعر بأثرها، لذا فالاختلاف بينها وبين الروايات التقليدية يكمن في الشكل المعروض عليها أو الوسيط المستخدم لنقلها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يكمن في التفاعل بين القرّاء وبين الكاتب ،وهو أهم ما تتميز به الرواية التفاعلية الفيسبوكية ،وكذلك الواردة على هيئة تطبيق ،ولذا يمكننا القول أن هذا النمط عرفنا على نمط جديد من القراء وهو القارئ الإيجابي الذي يشارك في الإبداع الروائي ويتفاعل مع الكاتب بطرق شتى.

٥- لاحظنا اختلاف روايات الكاتب اللاحقة عن الرواية الأولى من حيث اعتمادها أكثر على العناصر الفنية المكونة لأي عمل ورقي أكثر من الوسائط المتعددة ،وربما يعود ذلك إلى تعديل في الأولويات أو اختلاف في الرؤى لدى الكاتب خاصة بعد تجربته الأولى . وهذا ما يؤدي إلى النقطة التالية التي تساءلنا

عنها في مبدأ حديثنا ،وهي هل هذا النمط الروائي أفاد الرواية العربية ودفع بها إلى الأمام، وهل لهذا النمط جمهوره الكبير أم لا؟

وفي الحقيقة من وجهة نظري الخالصة وبعد متابعة هذا النمط لسنوات متتالية، وكذلك بعد إجراء استطلاعات رأي على شريحة واسعة جدا من طلاب الجامعة -تحديدا- لم أجد أثر حقيقي لهذا النمط الروائي (وأقصد هنا الوسيط) الذي ينقل من خلاله الإبداع الروائي ،رغم أن هذا الجيل هو جيل التكنولوجيا والثورة المعلوماتية ، ورغم تنبؤ الكثير من الباحثين والنقاد وبعض الأدباء بأن الأدب الورقي سينتهي لامحالة ويحل محله الأدب الرقمي ، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك تماما حيث يتمسك هذا الجيل بالوسيط الورقي ، ويبتعدون بشكل كبير -حين يخص الأمر القراءة-عن الوسيط الاليكتروني ، ويبدو أن غرقنا في التكنولوجيا وإحاطتها لحياتنا بجوانبها المختلفة ،خلق رد فعل عكسي ودفع شريحة القراء للتمسك بالورق أكثر من الرقمية بعيدًا عن التشتت وقلة التركيز ،بعيدًا عن الصوت والحركة والميديا ،ورغبة في الطبيعة أكثر والاعتماد على التخيل البصري والعقلي ، ورغبة في الالتحام بالكلمة والتوحد معها دون وسيط آخر مهما كان جذابًا ولافتًا للنظر.

المصادر والمراجع:

أولا / المصادر :

عبد الواحد استيتو:

١- رواية علي بعد مليمتر واحد فقط .

٢- رواية طينجو(تطبيق)

٣- رواية الديبة

ثانيا/ المراجع العربية والمترجمة:

١- (د) إبراهيم ملحم : الأدب والتقنية :عالم الكتب الحديث (إربد– الأردن) : الطبعة الأولي ٢٠١٣م

٢- السيد نجم : النشر الالكتروني والإبداع الرقمي :هيئة قصور الثقافة(٢٠١٠)

٣- (د) جميل حمداوي : الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق : الطبعة الأولي (٢٠١٦): شبكة الألوكة

٤- سلطان مسفر مبارك : الشبكات الاجتماعية (خطر أمر فرصة) : بحث منشور الكترونيا علي شبكة الالوكة : ١٤٣٢هـ

٥- (د) فاطمة البريكي : فضاءات الإبداع الأدبي في عصر التكنولوجيا الرقمية : العالم العربي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولي ٢٠٠٨م

٦- عز الدين المناصرة: نحو منهج عنكبوتي تفاعلي: الهيئة العامة لقصور الثقافة: القاهرة:٢٠١١

ثالثًا \ المجلات:

١– أسماء إبراهيم شنقار : الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي (رواية على بعد مليمتر واحد نموذجًا) سياقات اللغة والدراسات البينية: العدد الخامس (إبريل ٢٠١٧م)

رابعا/ الرسائل العلمية :-

١- أسامة عميرات: نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية في النقد العربي المعاصر: رسالة ماجستير : إشراف : أ.د محمد زرمان: ٢٠١٠: جامعة الحاج لخضر بتانة: الجزائر

٢- حنان بنت شعشوع : اثر استخدام شبكات التواصل الالكترونية علي العلاقات الاجتماعية (الفيس بوك وتويتر نموذجاً) رسالة ماجستير في علم الاجتماع .
- إشراف : د/ أميرة بنت يوسف البدري : جامعة الملك عبد العزيز (قسم الاجتماع):١٤٣٤هـ

٣- صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة: إشراف: د. علي عالية: رسالة دكتوراه (٢٠١٥): جامعة محمد خيضر بسكرة